آثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلاميّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلّ إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، البشير النذير والسراج المنير، وعلى آله وأصحابه ومن سار على منهاجهم إلى يوم المصير.

أمّا بعدُ:

فإنّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة عالم وداعية مثل كثير من العلماء والدعاة قبله وبعده، لكّن الله تعالى فضَّله وحباه بنعمة منه وفضل، وهيّأه لأمر عظيم يسّره على يديه.

ما كان بعض الناس إلا مثلما ... بعض الحصى الياقوتة الحمراءُ

لقد كان عالمًا بالشرع، مقدامًا في الخير، باذلًا نفسه في ذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واجه الناس بما يعتقد، وصبر على أذاهم، دعاهم إلى الحق بالحكمة ويسّر الله عَزَّوَجَلَّ له المناصر حتى فتح الله لدعوته القلوب وصار للمتقين إمامًا، بل مُجَدِّدًا القرن الثاني عشر بلا منازع.

لسنا هنا دعاة غلو في الشيخ ولا في غيره، ولا نزعم أن كل أثر حسن فهو أثر لدعوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأنصار الحق بحمد الله في كل زمان، فتأثيرهم حاصل في كل مكان.

والشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سائر على طريقة السلف، لم يشذ عنهم في مسألة واحدة، وشرُف رَحِمَهُ ٱللَّهُ باتباعهم والسير على منوالهم. والحق لا شك أنه ليس محصورًا في قوله، وإن لسان حال، بل مقال كل من أفاد وتأثر بدعوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنهم يقسمون الأيمان المغلظة أنه لو قُدِّر أن خرج الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قبره وقال: كل ما قلته ودعوت إليه فإنني أتراجع عنه،

فإنهم سيقولون له عن بكرة أبيهم، هذا شأنك. أما نحن فلا نرجع عن الحقِّ الذي جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وما أحسنَ ما قال الشاعر:

إن كان توحيد الإله توهُّبًا يا ربي فاشهد أنني وهَّابي

هذا محمد بن عبد الوهاب.

أمّا دعوة هذا الإمام الجليل فإنها صورة الإسلام الفطري قبل أن تعبث في الناس الأهواء، والدّين الصافي قبل أن تشوبه الشوائب.

حنيفية في دينها سلفية وكانوا *** أولي بأس فسل كل من تلقى.

إنه لا يرتاب منصف أنّ هذه الدعوة هي الشعلة الأولى لليقظة الإسلامية في العصور المتأخرة، والتي هيّأ الله ﷻ لها السبب لعموم النفع وعظيم التأثير، ألا وهو أنّه قد جمع لها سبحانه بين المصحف والسيف، بين السلطة والعلم، فشقت طريقها الحافل بالأشواك لتصل إلى الناس وتفيدهم وتنقذهم من براثن الجهل والأهواء لمّا كان فيها الحجة البالغة والحسام المظفَّر.

لقد قيّض الله ﷻ لهذه الدعوة الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فتعاقد الشيخ والأمير على وضع أساس نهضة دينية إصلاحية غُرست في قلب نجد، فتفيّأ ظلالها أهل المشارق والمغارب.

لكن لا يخفى أنّ أعداء الحق قد اصطنعوا الحجب الكثيفة التي تحول بين الناس وبين هذه الدعوة المباركة، وأن يرى الناس الثمار اليانعة لهذه الدعوة العظيمة، فمنذ أن نشأت فما بعد تواطأ ثلاثة أصناف على نسج الأباطيل حولها والجدِّ في التّخذيل عنها:

- **أولًا:** حكام السوء، الذين خافوا على عرش الظلم والدجل.
- **وثانيًا:** علماء السوء، الذين أخذتهم حمية الجاهلية للخرافة.
- **وثالثًا:** مستشرقون أو كثير منهم أعماهُم الحقد عن رؤية الحق، فتجافوا عن الإنصاف والموضوعية.

نظروا بعين عداوة لو أنها *** عين الرضا لاستحسنوا ما استقبحوا

لقد نسجوا الأكاذيب الباطلة حول هذه الدعوة؛ لأنهم يعلمون أنه ليس بين هذه الدعوة وقبول الناس لها إلا أن تصلهم صافية نقية دون سحب التشويه، وسيكون حالهم حينئذٍ حال مؤرخ مصر عبد الرحمن الجبرتي رَحِمَهُ اللَّهُ، إذا قال كما في الجزء الثالث من تاريخ عجائب الآثار لما أطلع على رسالة للإمام محمد رَحِمَهُ اللَّهُ، فلم يتمالك إلا أن قال: "إن كان كذلك فهذا ما ندين الله تعالى به نحن أيضًا، وهو خلاصة لُباب التوحيد، وما علينا من المارقين والمتعصبين".

نسبوا إلى الوهاب خير عباده ... يا حبذا نسبي إلى الوهاب
الله أنطقهم بحق واضح ... وهم أهالي فرية وكذاب
أكرم بها من فرقة سلفية ... سلكت محجة سنّة وكتاب
وهي التي قصد النبي بقوله ... هي ما عليه أنا وكل صحاب

هذه الدعوة -يا أيها الإخوة- تحمل معها أسباب قبولها، بشرط أن تصل إلى الناس كما هي.

❑ **يحضرني في هذا المقام قصّتان فيهما عبرة:**

▪ **الأولى:** للشيخ أحمد بن عيسى رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو أحد علماء هذه الدعوة توفي سنة (1327) وهو صاحب شرح النونية لابن القيم وهو صاحب كتاب الرد على شبهات المستغيثين بغير الله عَزَّوَجَلَّ، وهو الذي كان له أثر عظيم في الدعوة إلى الله، لما جالس شريف مكة الشريف عون الرفيق، أقنعه بأن يزيل جل القباب التي في مكة وجدة والطائف، فأُزيلت بحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الشاهد: أن هذا الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان تاجرًا يتاجر في الأقمشة، وكان يتعامل مع أحد تجار جدة وهو الشيخ عبد القادر التلمساني وهذا الرجل كان على طريقة أهل التصوف والكلام، عامله زمنًا طويلًا، فوجد منه كل خلق كريم وتعامل حسن، فقال له: إنني أعامل الناس منذ أربعين سنة فما رأيت خلقًا كخلقك ولا أمانة كأمانتك، وكان يبايعه بالأجل،

ويبدو أن الذي ينسجونه حولكم معشر أهل نجد إنما هو أكاذيب حاكها خصومكم السياسيون. فقال له الشيخ أحمد: وماذا يقولون؟ قال: يقولون إنكم لا تصلّون على النبي ﷺ ولا تحبونه، فقال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: سبحانك هذا بهتان عظيم! كيف ونحن نعتقد أنّ من لم يصلِّ على النبي ﷺ في التشهد صلاته باطلة؟! وأنّ من لم يحبه عَليهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمَ فهو كافر.

فأخذ يتناقشان، وبيَّن له الشيخ أحمد رَحِمَهُ اللهُ إنما ينكرون الاستغاثة بغير الله وصرف العبادة للأولياء والموتى، واستمرت المناقشات ثلاثة أيام، فأعلن الشيخ عبد القادر رَحِمَهُ اللهُ التوبة والرجوع إلى مذهب أهل السنة والجماعة في باب توحيد العبادة.

لكن بقيت بقية في مسألة الصفات؛ لأنه درس في الأزهر، تأثر بعلم الكلام، فتناظرا مدة خمسة عشر يومًا هو والشيخ أحمد حتى أذعن للحق وتاب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وصار من كبار الدعاة إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وطبع على حسابه كثيرًا من كتب السنة ولله الحمد.

هذه قصة فيها أنّ الدعوة لا تحتاج حتى تصل إلى الناس إلا أن تصلهم صافية نقية.

▪ **والقصة الثانية:** قصة مشهورة، فقد أوردها الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ في فتاويه في الجزء الأول في صحيفة [75]: وهي أن الشيخ عبد الرحمن البكري، وهو من أهل نجد، وكان له تجارة في الهند، له مدرسة في عُمان يدرِّس فيها التوحيد والعقيدة، فإذا قلّ المال الذي يصرف به على المدرسة سافر إلى الهند للتجارة، وربما جلس هناك ستة أشهر أو نحوها.

الشاهد: أنه كان يسكن بجوار مسجد فيه شيخ يعلم تلاميذه العلم الشرعي، ويختم كل درس باللعنة والدعاء على محمد بن عبد الوهاب.

يقول الشيخ عبد الرحمن: فأهمّني ذلك، فتفكرت كيف أستطيع أن أقنع هذا الشيخ في الرجوع عن هذا البهتان وهذا الظلم حتى هداني الله ﷻ إلى طريق، وهي أنّ هذا الشيخ كان يمر بي باستمرار ويقول: أنا أعرف العربية، ولكنّي أحب أن أسمعها من أهلها،

فدعوته مرة إلى منزلي، ووضعت على أحد الرفوف في الغرفة كتاب التوحيد ونزعت غلافه، وقلت للشيخ: أستأذنك أن أذهب لأُحضر بعض الطعام وأحضر (بطيخة)، فمضيت وإذا بهذا الشيخ أخذ هذا الكتاب وبدأ يقرأ فيه.

يقول: فلما عدت إليه وجدته يهز رأسه ويقول: لمن هذا الكتاب؟ فَنَفَسُهُ نَفَسُ الإمام البخاري، فقلت: دعنا نذهب إلى فلان صاحب مكتبة لنسأله، فذهبنا إلى رجل أعرفه من الصالحين، ففهم القضية، فطلب من أحد عماله أن يأتي بمجموعة التوحيد، ثم أخذ يقارن بين كتابين، فقال: هذا كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب، فما كان من الشيخ الهندي إلا أن صرخ قال: الكافر! يقول: فصمتا وصمتنا، ثم استغفر الله ﷻ وقال: الظاهر أننا ظلمنا هذا الشيخ.

يقول الشيخ عبد الرحمن: فكان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد كل درس يدعو للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان له تلاميذ انتشروا في الهند يدعون إلى التوحيد.

إذن دعوة التوحيد التي نفض بها الإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوته فطرية تُقبل عليها النفوس المنصفة إذا وصلت إليها دون حُجُب التشويه والأكاذيب.

وعلى كل حال كون الدعايات الكاذبة تشوب هذه الدعوة أمر لا يستنكر، وذلك أن هذا التشويه هو الوسيلة الناجعة لصد الناس عن سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، ولا يخفاكم يا أيها الكرام أنه في فترة من الفترات كانت التهمة بالوهابية تهمة مخيفة، ولربما وصلت عقوبتها إلى حد القتل.

أذكر أنّ الزركلي في كتابه الأعلام ذكر أن محمد بن عبد الله بن شاوي، أحد أمراء بادية العراق، هذا الرجل اتهمه الترك بالميل إلى الوهابيين، فكان عقوبته أن قُتل خنقًا، وكان هذا سنة (1217هـ)، قُتل خنقًا؛ لأنه رجل مال إلى الوهابية.

من طريف ما يذكر في هذا المقام: ما ذكره الأديب على الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكرياته في الجزء الثالث ذكر قصة طريفة تبين لك حجم هذه التهمة ومقدار تأثيرها في نفوس الجهال بالدعوة –تهمة الوهابية– ذكر قصة حدّثه بها أحد المفكرين من الهند، وهي: أنه كان هناك

تاجران أحدهما مسلم والآخر هندوسي، وكان بينهما منافسة ومشاكسة، فما وجد هذا المسلم وسيلة للتشغيب على هذا الهندوسي إلا أن اتهمه بأنه وهابي فما كان من الناس إلا أن انصرفت عن هذا الرجل وبارت تجارته؛ يعني: كانوا يتعاملون معه وهو هندوسي لما أصبح وهابيًا انصرفوا عنه فبارت تجارته.

فما وجد هذا الرجل حلًّا إلا أن وقف في المسجد وقال: يا أيها الناس أنا كنت وهابيًا، ولكنني تبت من ذلك وعدت إلى الهندوسية فعاد الناس إليه ورجعت تجارته.

فانظر إلى حجم هذا الإرهاب الفكري الذي يمارس على هذه الدعوة.

بالمناسبة الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ له سلسلة اسمها عظماء من التاريخ، طُبع منها قديمًا عام (1960) للميلاد ستة أجزاء، أحدها وأظنه السادس كان عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، إحدى الدور الطباعية الشامية أعادت طبع هذا الكتاب ثانية عام (1979)، ثم طبعة ثالثة عام (1997)، وأبت أن تطبع هذا الجزء بالذات، وهذا غيض من فيض الإرهاب الفكري الذي يمارس على هذه الدعوة.

على كل حال كما أسلفت هذا ليس شيئًا عجيبًا، فالابتلاء سنة ماضية في أهل الحق، قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: 31].

وورقة بن نوفل قال للنبي ﷺ: لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، إلا أن العاقبة للتقوى وللمتقين، والحق أبلج وأنصاره منصورون، والباطل داحض وأهله مقهورون، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

من فضل الله سبحانه أن العقود الماضية انقشعت فيها غياهب الجهل بهذه الدعوة لدى كثيرين من الناس، وبات هذه الدعوة محل قبول في أرجاء المعمورة، وأعاد اللمز والطعن بوسم الوهابية شيئًا مملًا ومكرورًا ولا يؤثر كثيرًا، وصار الإقبال على نتاج الدعوة بحمد الله من كتب ومواقع ووسائل إعلام وغيرها لا يجحده إلا مكابر.

غير أنهم منذ سنوات قليلة وقريبة عادت طبول أهل الباطل إلى القرع من جديد على إثر ظهور طوائف غالية تدعّشت وتقعّدت فشوهت صورة الإسلام الناصعة بقبيح الفعال، فوجد هؤلاء فرصة سانحة فسعوا إلى الربط بين هذه الجماعات الغالية والدعوة الإصلاحية الصافية بدعوى أنّ تلك الجماعات قد خرجت من عباءة هذه الدعوة العظيمة.

وهاهنا ينبغي أن يقال: لا يختلف العقلاء أنّ الالتقاء في نقطة ما لا يعني الموافقة والتأثير. وإذا كان النبي ﷺ قد قال في الخوارج الذي هم شر الخلق والخليقة: (يقولون: من خير قول البرية) فلن يُذم خير البرية بذلك.

وإذا كانت هذه الجماعات نفسها تقرأ القرآن وتدرسه لأبنائها وتستدل بها في خطبها، فهل سنحمل القرآن أخطاءهم؟

إذن إذا قُدِّر أن تلك الجماعات قد طبعت كتاب التوحيد مثلًا للشيخ محمد فلا يعني هذا سلامة منهجهم، ولا يعني هذا تبرير أخطائهم، ولا يدل هذا على الاتفاق معهم.

فكيف وأعظم الجهود العلمية والدعوية التي واجهت وتواجه جماعات الغلو التي خرجت على أمة محمد ﷺ بالسيف، إنما انبعثت عن طريق علماء وأشياخ أهل السنة والتوحيد الذين يُلمزون بالوهابية، وحرك ترى.

وليس يصح في الأذهان شيء *** إذا احتاج النهار إلى دليل

أقولُ: إنّ من أعظم ومن أهمِّ ما يبيِّنُ ظلم هذه الدعوة وبطلانها إبراز شيء من الآثار الطيبة للدعوة التجديدية التي ينعتونها بالوهابية، فإنّ العقلاء يحكمون على الأشياء من خلال النظر في آثارها وثمارها، وكذلك بمقارنتها بأضدادها. وبضدها تتبين الأشياء.

والمنصف إذا قارن بناء الدعاة المصلحين بتخريب الغلاة المنحرفين فستشرق أمام عينيه شمس الحقيقة، ولا يملك حينها إلا أن يقول: أين الثريا مكانًا في ترفعها من الثرى؟

قال: هذا كل منتبه.

أقولُ:

✍ **إنّ أعظم أثر لهذه الدعوة التجديدية التي نهض بها الشيخ المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** سعيُها الحثيث في تعليق القلوب بعلام الغيوب، لم تسع هذه الدعوة قط إلا أن توحد كلمة على كلمة التوحيد، فلم تصدر سياسات جاهلية، ولم تورِّث ثورات غوغائية، ولا اغتيالات همجية، لم تكن دعوة تشتيت وتفريق وتحزُّب، بل دعوة تأليف واجتماع واعتصام بحبل الله سبحانه.

كانت دعوة تسعى إلى أن تتعبد القلوب لله رب العالمين، وتقوم الجوارح بعبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتُحكِّم شرعه وتستجيب لآدابه، وأن ينزه دين الله عَزَّ وَجَلَّ عن الدجل والخرافة.

فيا أيها الناقم على هذه الدعوة، الواصم لها بتهمة الإرهاب، إني أعظك بواحدة فتفكَّرْ فيها انظر إلى ما يسمى منهاج التثقيف الجماعي لهذه الدعوة ماذا كان؟ أكان نشيد حزب، أم كان عهد ولاء لمنظمة، أم كان تفدية لزعيم، أم كان صيحات وعيد لأعداء؟ ليس شيء من هذا البتة، إنما كان على الأصول الثلاثة. هذا هو منهج التثقيف الجماعي لهذه الدعوة المباركة.

كان الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ والعلماء من بعده يجلسون للناس في المساجد بعد الصبح وبين العشاءين، ليحفظوهم ويسمعوه ويعلموهم الأصول الثلاثة، أن يعرف العبد ربه وأن يعرف دينه وأن يعرف نبيه محمدًا ﷺ.

هذا هو منهاج الجماعة، هذا هو قاعدة التربية، هذا هو ما يسمى بأدبيات الدعوة، هذا هو المنطلق وهذا هو الأساس.

إذن كانت دعوة تجديد للتوحيد لا أقل ولا مزيد.

أفريت كم هي دعوة صافية؟ أفريت حجم ظلمها من أعدائها؟ واسمع -رعاك الله- إلى الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يوجز دعوته بكلمات واضحة مختصرة.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أقول ولله الحمد والمنة وبه القوة، إنني هداني ربي إلى صرط مستقيم دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين، ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب

صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل: ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسوله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم".

يقول أيضًا: "وصورة الأمر الصحيح أني أقول ما يُدعى إلا الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى في كتابه: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، وقال في حق نبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: 21].

فهذا كلام الله، والذي ذكره لنا رسول الله ﷺ ووصّانا به، وهذا الذي بيني وبينكم، فإن ذُكر شيء غير هذا فهو كذب وبهتان". انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ

✍ **من آثار هذه الدعوة المباركة أيضًا:** أنها أثمرت نهضة علمية غير مسبوقة على الإطلاق في القرون المتأخرة.

إنّ الواقع ليشهد أنه قد أشرقت بسبب هذه الدعوة ولله الحمد شمس العلم الصافي من جديد في قلب جزيرة العرب، ثم استنارت الآفاق بضوئها فازدهرت علوم الكتاب والسنة، وانبعثت كتب السلف وأئمة التحقيق بعد أن اندثرت أو كادت، كما تزينت مكتبات العلم بنتاج وافر من المؤلفات والرسائل، وأقبل طلاب العلم على العلم وكثروا وصاروا يعرفون كيف يطلبون وبماذا يبدؤون وكيف يقهرون بالحجة كل مجادل مماحل أو متعصب بليد.

وإذا كانت هذه حال علوم الشريعة قاطبة فإن لعلم التوحيد فيها شأن خاصة، فقد أرست هذه الدعوة دعائم وقام بسببها على سوقه، فقُعِّدت قواعده وضُبطت ضوابطه وبُينت الشروط والأركان وعُرفت التقاسيم والأنواع، وحيّت بتوفيق الله كتب الاعتقاد الصحيح والرد على أعدائه، وخُدمت وانتشرت وصارت رماح صفحاتها تدفع في صدور أهل الخرافة ولله الحمد والمنة.

✍ **أيضًا من آثار هذه الدعوة المباركة**: أنّها حملت لواء الدعوة على منهاج النبوة في أرجاء المعمورة، وذلك في القرون المتأخرة دون منازع.

إنه لم يكن لدعوة التجديد غاية إلا إقامة الدين على حين غربة، ونشر السنة وإماتة البدعة، فبارك الله ﷻ فيها وجعل لها العاقبة والنصر المؤزر، رغم كثرة الخصوم وشراستهم، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51].

أما في محيطها فقد زالت بحمد الله مظاهر الشرك وعُمرت المساجد حسًا ومعنى، وتعطرت بالصلاة وذكر الله وتعليم العلم، وعرف التوحيد والعبادة الصغير والكبير، بل أضحى في الأمراء والتجار والعامة دعاة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

لقد أذكت هذه الدعوة الغيرة على الدين والحماسة له والدفاع عنه.

وانظر إلى ثمرة من ثمرات هذه الدعوة المباركة، هذه الجامعة الإسلامية بالمدينة ثمرة من ثمرات هذه الدعوة، هذه الجامعة نهر يتدفق منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمان ينهل منه الشرق والغرب تخرج فيها نحو خمسة وثلاثين ألفًا من أبناء العالم من نحو مائتي جنسية. فماذا حملوا معهم إلى أقطار الأرض؟ أهو قطع الرؤوس وحرق الأجساد وتكفير المسلمين؟ كلا والله، بل حملوا معهم مشاعل الخير والنبل والرحمة والمنهج الصحيح.

هذه الجامعة القيادية حُقَّ لها بأن توصف بأنها صمام الأمان للدعوة، ومرتكز إسلامي بالغ التأثير والثقل، وأكاد أجزم أنه ليس ثمة تأثير على خريطة الدعوة الإسلامية في العالم يفوق تأثيرها، واسألوا المنصفين، هذا كله كان عن ثمرة واحدة فقط وهي هذه الجامعة، فماذا أقول عن أخواتها من الجامعات، وعن وزارة عملاقة للدعوة والإرشاد، وعن رئاسة عريقة للبحوث العلمية والإفتاء، وعن مؤسسات، وهيئات للعلم، والدعوة، والحسبة. إنها منجزات عظيمة دعا خيرها في أقطار الأرض، نشرت التوحيد، بينت منهج الاعتدال، وطدت دعائم الأخلاق والفضيلة، إنها جهود محسوسة، ولا حيلة فيمن يتعامى عن الحقائق الصارخة.

وما ضر الورود وما عليها إذا المزكوم لم يطعم شذاها

✍ **من آثار دعوة الشيخ أيضًا:** السعي في إخماد الفتن وجمع الأمة ولم شعثها ومداواة أمراضها، ونبذ الفُرقة، والخلاف، والشذوذ، والاعتساف.

لقد كان من ثمراتها أنّ الصفوف في مهدها اجتمعت والقرى توحدت، فكان الأمن والاستقرار والعدل بفضل الله، أُمنت السبل، عصمت الدماء والأموال، انتشر الرخاء، ازدهر العمران.

ثم تطلعت الدعوة إلى إتلاف الأمة الإسلامية، وكان من ثمرات ذلك إنشاء رابطة العالم الإسلامي، وبالمناسبة فإن الذي أمر بإنشاء هذه الرابطة هو الملك رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي جده لأبيه محمد بن سعود، والذي جده لأمه محمد بن عبد الوهاب.

وفي تأسيس هذه الرابطة ترجمة لحرص أتباع الدعوة الإصلاحية على ما فيه تحقيق المحبة وتقوية اللُحمة بين المسلمين.

✍ **من آثار هذه الدعوة أيضًا:** أنها قد جمعت بين علماء السنة وخلاصة أهل الفضل والتحقيق في مشارق الأرض ومغاربها، فصاروا تحت أفيائها إخوة متحابين متعاونين.

إنّ من أعظم نعمة الله على دعاة وأهل دعوة التوحيد والتجديد أنه ما سمع دعوتهم فاضل إلا استجاب لها وأحلها من نفسه المحل اللائق بها.

لقد تردد صدى الدعوة ما بين ضفاف الخليج وإلى جبال الحجاز واليمن، وبلغ سهول الشام والعراق، وانتهى إلى مغاني مصر والمغرب، وتنامى إلى الهند وفارس، وكان المنصفون في كل ذلك إذا بلغتهم الدعوة هللوا ورحبوا وأيدوا وما شرِق بها إلّا أهل الخرافة والتأكُّل بها.

وإذا لم تر الهلال فسلِّم ... لأناس رأوه بالأبصار

ولا يغيب عن بالك -أيها الموفَّق- أن هذه الدعوة لم يقف تأثيرها عند حد العامة، بل إن من السلاطين والحكام من قد تأثر بها بوجه من الوجوه.

دعونا نوجه وجوهنا قِبَلَ المغرب لنرى هناك السلطان محمد بن عبد الله العلوي، الذي كان سلطان المغرب وتأثر بدعوة التوحيد، وبدأ التأثر بدعوة الشيخ على وجه

الخصوص أظهر على ابنه السلطان سليمان رَحِمَهُ اللهُ ثم ابنه إبراهيم بن سليمان إبراهيم بن سليمان حج سنة (1226هـ) والتقى علماء الدعوة وسمع منهم مباشرة ولقي منهم الإكرام والترحيب ثم عاد بعد ذلك إلى والده ليبلغه حقيقة ما رأى فما كان منه إلا أن استجاب وشمّر، وبالتالي كُتبت صفحة مشرقة من الدعوة السلفية في المغرب العربي.

ولندع المغرب لنتوجه إلى المشرق، حيث نجد إمارة بوبال وأميرها الشيخ صديق حسن خان رَحِمَهُ اللهُ، الذي تقبّل الدعوة بقبول حسن، وكانت له مراسلات مع الشيخ حمد بن عتيق، أحد علماء هذه الدعوة الكبار.

وتلا ذلك أن ابنه الشيخ سعد بن حمد، وكذلك الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحل إلى بوبال والتقيا هناك بالشيخ صديق والعلماء الذين كانوا ثمة كالشيخ السهسواني والشيخ حسين بن محسن الأنصاري وغيرهم من أهل العلم، وكان ثمرة ذلك نُصرة دعوة التوحيد بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

الذي أريد أن أصل إليه هو أنه قد تأثر بالدعوة أناس في الشرق والغرب، لا تنقصهم سلطة ولا ينقصهم جاه ولا ينقصهم أتباع، ناهيك عن قائمة طويلة من العلماء والأشياخ الذين لهم اليد الطولى في العلم، والذين كان لهم تأثير عظيم في عامة الناس، فماذا كانت النتائج؟ وما الثقافة التي نشرتها هذه الدعوة في البيئات التي استجابت لها؟ أكانت ثقافة جز الأعناق والتحريق والتغريق في الأقفاص؟

إن الأمر يحتاج إلى قدر كبير من الإنصاف، تأمل معي -يا رعاك الله- فلا يخفى تلك الواقعة الأليمة والنكبة العظيمة على الدرعية سنة (1233هـ) على يد إبراهيم باشا -عليه من الله ما يستحق- على إثر هذه النكبة أُجلي أهل الدرعية عنها ظلمًا وقصرا ورُحِّلوا إلى مصر، وكانوا نحوًا من أربعمائة نفس من آل سعود من أبناء الشيخ محمد ومن أحفاده ومن غيرهم نزلوا في القاهرة وكانوا يغدون ويروحون فيها فما كان مسلكهم وماذا كانت طريقتهم؟ هل فخخوا مشفى، أم فجّرُوا سوقًا، أم اغتالوا جنود الباشا؟ كلا والله، إنما كانوا دعاة خير وإصلاح بثوا الخير ونشروا العلم وعرفهم أهل مصر عن كثب فما رأوا

إلا علمًا وصلاحًا حتى إنهم كانوا يتوافدون إلى منازلهم قرب القلعة كما يقول المؤرخون فكانوا يطلبون منهم الرقية على المرضى والدعاء لأهل البلاء، وذلك لما رأوا من صلاحهم وإقبالهم على الصلاة وتلاوة القرآن.

وبعدُ: فهذه يا أيها الإخوة الكرام كلمات موجزة لا تمثل إلا قطرة من بحر دعوة الإمام المجدد رَحِمَهُ اللَّهُ وثمارها، وبالتالي ينبغي أن يسأل العقلاء والمنصفون أنفسهم هل ثمة وجه للمقاربة فضلًا عن الموافقة بينها وبين الجماعات الغالية؟ لا ريب أنّ الجواب يحتاج إلى قدر كبير من العدل والإنصاف.

وأخيرًا فإني أذكر نفسي وإخواني بقول الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: **﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾** [الجاثية: 18-19].

أسأل الله العظيم ربّ العرش الكريم أن يملأ قلبونا بحبه وألسنتنا بذكره، وأن يوفقنا لطاعته وأن يستعملنا في مراضيه، وأن يجزي عنا إمام الدعوة وأبناءه وأحفاده وعلماء الدعوة خير الجزاء على ما قدّموا وبذلوا ونفعوا.

أسأل الله عَجَّلَ أن يُثبّتنَا على الحقِّ وأن يُلحقنا بهم غير مفتونين، إنَّ ربّنا لسميع الدعاء.

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا محمّد، وعلى آله أصحابه وأتباعه بإحسان.